الفصل الخامس

الإسرائيليات حول النبي سليمان عليه السلام

obeikandl.com

obeikandl.com

حينما نطالع العديد من الكتب ومن الروايات المتداولة بين شعوب المنطقة نعثر على عشرات القصص والأخبار عن النبي سليمان عليه السلام. ليس لها أساس من الصحة وليس لها مصادر موثوقة.

فالتوراة نفسها لم تورد هذه القصص والأخبار كما لم يوردها القرآن الكريم. ولم ترد في سنة رسول الله ﷺ من أحاديث وغيرها.

ويتساءل الكثيرون عن مصدر انتشار هذه القصص والأخبار والحكايات. والواقع نرى أن هذه القصص تداخلت في تأليفها خيالات بعض القصاص والحكواتية في عصور الانحدار التي شهدها العالم العربي بعد انهيار الدولة العباسية، كما لعب اليهود وبعض الجهات دوراً مهماً وخطيراً في تأليفها وبثها في العقول خاصة في الأوساط الشعبية الجاهلة.

ولم يكن كعب الأحبار ووهب بن منبه بمنأى عن بث مثل هذه القصص والحكايات التي أطلق عليها اسم الإسرائيليات كونها جاءت عن طريق أشخاص كانوا يهوداً ثم أشهروا إسلامهم في عصور تلت عصر النبي محمد ﷺ.

وما زالت الأوساط الشعبية تردد هذه القصص والحكايات. وهي من أكثر القصص خيالاً وإعجازاً ومجافاة للواقع.

وقد حفل كتاب قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس لأبي إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي المتوفي في سنة 427هـ بالكثير من هذه الإسرائيليات التي تتجاوز العقل والمنطق والدين.

يورد الثعلبي في الصفحة 292 من الكتاب بداية قصة النبي سليمان عليه السلام ويعنون القصة بـ (مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به).

وأول ما يبدأ بالحديث عن حكمه فيقول: (وكان ملكه ما بين الشام إلى إصطخر وقيل إنه ملك الأرض كلها).

فهل كان ملك النبي سليمان عليه السلام كما قال الثعلبي؟

إن الدراسات الآثارية والتوراتية لا تشير مطلقاً إلى تجاوز ملك النبي سليمان عليه السلام بعض أجزاء أرض فلسطين. وتثبت الدراسات أن ملوكاً وممالك كانت منتشرة في المنطقة كالمؤابيين والعمّونيين في الأردن والآراميين في دمشق وما جاورها والكنعانيين في صور وصيدا والساحل الشامي كله إضافة إلى الفراعنة في مصر والآشوريين في العراق. وقد أشارت التوراة إلى أن الملك سليمان استعان بملك صور لبناء قصره ومعبده. وبعض الدراسات تشير إلى أن مملكة سليمان كانت ولاية تحت ظل الحكم الفرعوني المصري.

ثم يورد الثعلبي قوله: (قال محمد بن إسحق وغيره من أصحاب الأخبار: كان سليمان عليه السلام رجلاً غزّاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك من ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يذله ويقهره).

فهل كان النبي سليمان كذلك؟ إن مهمة الأنبياء الدعوة إلى الله وليس إذلال الملوك أو الناس. هذا أولاً. أما ثانياً: لم تثبت التوراة هذا الكلام مطلقاً. فسليمان عليه السلام لم يغادر مملكته مطلقاً وأقصى ما يمكن قد وصل إليه. هو الساحل الذي يقع عند خليج العقبة.

ويورد الثعلبي قوله: نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير بأجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس.

والسؤال المطروح حول ذلك، ماذا تبقى من هذه المقاعد الذهبية. أين ذهبت ومن ورثها؟ وإذا كان الخبر صحيحاً فكم وزن هذا الذهب؟ ونحن نرى أن مناجم إفريقيا الجنوبية تعجز عن جمع هذا الذهب. كم كان وزن المنبر الذهبي وكم كان وزن الكراسي الذهبية والفضية؟

ثم إن الثعلبي يقول: فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب. فهل كان عند سليمان أنبياء غيره؟ إن القرآن الكريم لا يشير إلى وجود أنبياء مع نبوة سليمان عليه السلام وكذلك التوراة فمن أين جاء بهذه الخرافة أو هذه الحكاية؟

ويورد أخباراً عن الطيور وماذا تقول دون أن ينسب ترجمتها إلى النبي سليمان حيث يقول: قال ابن فتحويه بإسناده عن كعب الأحبار قال: ويأتي على ذكر أكثر من ثلاثين

صنفاً من الطير وماذا تقول، حتى إنه يورد ماذا يقول الضفدع والبازي والغراب والخطاف والطاووس والديك وغيرها من الحيوانات والحشرات.

ويورد الثعلبي قصة نسبها إلى الشعبي وكعب الأحبار يقول فيها:

أمر الله سليمان عليه السلام أن ينزل عليه (البيت الحرام) ويصلي فيه ويقرب عنده قرباناً ففعل ذلك قال: فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة).

فهل هذه الأعداد معقولة؟ فإذا كان النبي سليمان يطير على بساط الريح ثم نزل على الكعبة فمن أين جاء بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة؟ وكم من الرجال شارك في الذبح وأين ذهبت الدماء؟ ومن أكل لحوم هذه القرابين وكيف قطّعت وكيف وُزِّعت؟

إن المبالغات وصلت حداً لا يقبله منطق ولا تقبله الوقائع ولا العقول.

ويورد الثعلبي رواية عن المدعو فتحويه بإسناده عن كعب الأحبار شيئاً كثيراً مما قالته الطيور، منها قوله: صاح ورشان عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، فقال: إنه يقول: لدوا للموت وابنوا للخراب. وصاحت فاختة فقالت: ليت ذا الخلق لم يختلفوا وقال طاووس فقال كما تدين تدان، وقال هدهد: من لا يرحم لا يُرحم. وقال صرد: استغفروا الله يا مذنبون. وهكذا حتى لا يترك طيراً إلا وينطق على لسانه حكمة أو مثلاً.

ويورد الثعلبي قصة طائر العنقاء. وهذا الطائر خرافي ليس له وجود في الواقع أو بين المخلوقات فقال: وكانت العنقاء قد قالت لسليمان لست أو من بهذا فقال لها سليمان: ألا أخبرك بأعجب العجب قالت: بلى. وتحدث إليها النبي سليمان عن قصة بنت وشاب ولدا وقد أوحي له بما سيصير عليه مستقبلهما.

فقالت العنقاء للنبي سليمان: أنا أُبطل القدر وأفرق بينهما. فأشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة. فمرت العنقاء وكانت في كبر الجمل عظماً ووجهها وجه إنسان ويداها يد إنسان وثدياها ثديا امرأة وأصابعها كذلك. ويستمر في سرد القصة الطويلة ولا شأن لنا بها سوى هذا الوصف الذي وصفه للعنقاء، وكما قلنا فإن طائر العنقاء خرافي ليس له وجود.

وزعم أن الخيل أو الجياد التي كانت للنبي سليمان كانت قد خرجت من البحر ولها أجنحة وزعموا أن الله أمر ملائكته الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان فصلى العصر في وقتها.

ويورد الثعلبي قصة رواها وهب بن منبه. وهي أن النبي سليمان كان يوماً على شاطئ البحر فإذا به يرى قبة فيجلبها إليه الشياطين فتنفتح ويخرج منها شاب وسيم كانت أمه قبل مماتها دعت ربها أن يهيئ لولدها مكاناً لا يقدر عليه الشيطان حتى لا يُوَسوس إلى الشاب، وذات يوم ذهب الشاب إلى شاطئ البحر فرأى قبة فدخل فيها فانغلقت ورست في قاع البحر وكان طير يأتي له بالمأكل والمشرب الخ.

ويقول في صنع الجن الجفانَ: يقال إن الجفنة الواحدة تسع طعام ألف رجل يجتمعون عليها يأكلون بين يدي النبي سليمان.

ويرى قصة خرافية أكثر وأكبر يقول فيها: ومما عملوا له، مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع فيها ألف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع، أسفلها أغلظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء وعلى السقف الأعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضيء به في الليل الداجي العسكر كله، وبها من الأركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة شياطين وتحملها الريح حيث تشاء وكانت تلك المدينة له مستقراً يأكل ويشرب وينام ويتمتع بها.

من التهويل الذي جاء به الثعلبي الحديث عن كرسي النبي سليمان عليه السلام فيقول في وصفه: عملوا له كرسياً من أنياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من ذهب، على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب وعلى رأس الأخيرتين نسران من ذهب، وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب، وإذا أراد سليمان صعوده وضع قدمه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي ورجله فيها ويدور دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بذنبيهما... إلخ من هذا الوصف الخيالي.

ويقول في آخر حديثه، لم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يُعرف خبره ولا يُدرى أين هو.

ومن المبالغات التي أوردها الثعلبي ما ذكره في وصف عرش ملكة سبأ وهي القصة المرتبطة بالنبي سليمان عليه السلام. فقد قال في وصفه: (كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر وله أربع قوائم، قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زمرد أخضر وقائمة من در أصفر.

ثم تصل المبالغة عنده حداً خرافياً فقال: وصفائح السرير من الذهب وعليه سبعون بيتاً وعلى كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً في الهواء. ولعلنا نسأل من أي المصادر استقى الثعلبي هذا الحديث وهذه التفصيلات؟

وطالما أن التوراة نفسها لم تأت على مثل ذلك فإن هذه الحكايات استندت على أناس اختصوا بإدخال الروايات المنافية للعقل والمنطق إلى هذه القصص. ومنهم وهب بن منبه.

وبالنظر إلى النصوص الواردة عن وهب بن منبه والمتعلقة بقصص الأنبياء نلاحظ أن أطول تلك النصوص وأغزرها كان مما يتعلق بنبي الله تعالى سليمان عليه السلام[1] ومما ذكره الثعلبي عن وهب بن منبه.

أنه لما دعا بلقيس ملكة سبأ إلى الصرح قال لها: ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي معظم الماء فكشفت عن ساقيها، لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً إلا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها.

ففي هذا النص يصور وهب بن منبه نبي الله سليمان عليه السلام تصويراً سيئاً فهو حسب روايته شهواني لم تلفت نظره عظمة الله تعالى في أن سخر له من خلقه من حقق معجزة إتيانه بعرش بلقيس كما هو من بعده، إنما لفت نظره ساقا بلقيس المشعران وسرعان ما صرف بصره عنهما حسب رواية وهب عندما اكتشف أنهما بشعان بهذه الصورة. وكأن سليمان ليس سوى ملك من ملوك زمانه الذين لم تشغلهم سوى النساء وملذات الحياة[2].

والأغرب من ذلك أن وهب عندما يتحدث عن النملة وقصتها مع النبي سليمان يورد اسمها وهو جرس، ويورد اسم قبيلتها وهم بنو الشيصبان، فمن أين عرف اسم النملة واسم قبيلتها. وافترض أنها بحجم الذئب. فهذا كله من الخرافات التي لا تُصدق.

وفاة النبي سليمان عليه السلام

يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ سبأ 14.

أجمع المفسرون وكتبة التاريخ على أن النبي سليمان لبث في ملكه بعد أن رده الله عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور

(1) عبدالله مليكان التفكير الأسطوري في الإسرائيليات دار حداد/ 1998، ليبيا ص 271.
(2) المرجع السابق 273.

راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها حيث أحب.

قيل: فتزيا لهم إبليس وهم دائبون في العمل فقال: فكيف أنتم؟ قالوا: مالنا طاقة لما نحن فيه. فقال إبليس: تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغاً لا تحملون شيئاً قالوا: نعم. قال: فأنتم في راحة. قيل فأبلغت الريح ذلك سليمان عليه السلام فأمرهم أن يحملوا ذاهبين وراجعين. فجاءهم إبليس فقال: كيف أنتم قالوا مالنا طاقة لما نحن فيه وأخبروه أنهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم إبليس: أتنامون بالليل قالوا: نعم قال: فأنتم في راحة قال فأبلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم إبليس فشكوا إليه أنهم يعملون بالليل والنهار وأنهم دائبون بالعمل قال: كيف أنتم قالوا: لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم إبليس: وما يشاء فعله فقالوا: نعم قال: فتوقعوا الفرج وقد بلغ الأمر منتهاه فلم يلبثوا إلا قليلاً وقد مات نبي الله سليمان عليه السلام.

ويبدو في هذه القصة أن الثعلبي غاب عن ذهنه أن إبليس ومن لف لفه لا يعلمون الغيب فكيف قال لهم فتوقعوا الفرج.

ومع كل ذلك فهذه القصة لم ترد لا في التوراة ولا في القرآن. غير أن القرآن ذكر أن الجن لو علموا أن سليمان عليه السلام قد مات لما بقوا في الأصفاد ولفرّوا من حكم سليمان عليه السلام.

ويورد الثعلبي قوله: قال ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب في قصره السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله في المرة التي مات فيها.

وكان بدء أمره في ذلك أنه لم يكن يوماً يصبح فيه إلا تنبت له شجرة فيسألها سليمان: ما اسمك فتقول الشجرة: كذا وكذا فيقول: لأي شيء أنت؟ فتقول: كذا وكذا فيأمر بها فتقطع. فإن كانت تنبت لغرس كتب عليها غرسها في مكان كذا وكذا وإن كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلي يوماً إذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوبة قال: ولأي شيء نبتك؟ قالت: لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود: ما كان الله ليخربه وأنا حي. أنت التي وجهك هلاكي وخراب ملكي فنزعها وغرسها في حائط له ثم قال: اللهم عمّ على الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون الغيب من أشياء وأنهم يعلمون ما يكون في غدٍ. ثم إن سليمان دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ثم بقي على

تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد، وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم.

وقال عبد الرحمن بن زيد ـ ولا ندري من هو ـ قال سليمان لملك الموت: إذا أُمرت بي فأعلمني قال فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك وقد بقي لك سويعة. فدعا الشياطين فبنوا له صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه. فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه.

وفي رواية أخرى أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه: إن الله تعالى آتاني من الملك ما ترون. وما مر علي يوم في ملكي صاف من الكدر. وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي إلى الليل ولا أغتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا، فلما كان من الغد دخل قصراً له وأمر بإغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الأخبار إليه لئلا يسمع شيئاً يسوؤه. ثم أخذ العصا بيده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر إلى مماليكه إذ نظر شاباً حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له: السلام عليك يا سليمان فقال: وعليك السلام فكيف دخلت علي، هذا القصر بغير إذني وقد منعت من دخوله أما منعك البواب والحجاب أما هبتني حين دخلت قصري بغير إذني؟ فقال: أنا الذي لا يحجبني حاجب ولا يدفعني البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منه الرشا (الرشوة) وما كنت لأدخل هذا القصر بغير إذن فقال له سليمان: فمن أذن لكَ بدخوله؟ فقال له: ربي. قال فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت فقال له: أنت ملك الموت قال: نعم قال: فيم جئت قال: لأقبض روحك قال: يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لي ولا أسمع فيه ما يغمني فقال: يا سليمان إنك أردت يوماً يصفو لك فيه عيشك حتى لا يغمك فيه شيء وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فإنه لا مرد له. قال: فاقبض كما أمرت. فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه. قالوا: وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه. فقال بعض الشياطين لصاحبه: إن كنت جليداً فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض. ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق، فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترك. فنظر إلى سليمان وقد سقط ميتاً فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات. ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلغة الحبشة قد أكلتها

الأرضة فلم يعلموا منذ كم مات. فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوماً وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات من سنة. وكانوا يعملون بين يديه وينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك.

وفي رواية ابن مسعود فمكثوا يدانون له بعد موته حولاً كاملاً فأيقن الناس أن الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو أنهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له. ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيناك أعذب الشراب ولكنا ننقل إليك الماء والطين شكراً لك فالذي يكون في جوف الخشب هو ما تأتيها به الشياطين والشياطين تسكن إليها فذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾[1].

بالنسبة لما ورد من قصص أوردها الثعلبي نحن لا نعلم من أين استقاها. وخاصة تلك التي تتحدث عن ملك الموت ودخوله إلى سليمان. فمن من الناس رأى ملاك الموت ومن تحدث بهذه القصة طالما أن أحداً لم ير سليمان عليه السلام وهو يموت.

الواقع إن ذلك مما لا يؤخذ به. والشيء الذي يمكن أن يؤخذ به ما تحدث به ابن مسعود في تفسير الآية. وما عدا ذلك لا نستطيع أن نصدقه لأنه لا مصدر له. ونعتقد أن ذلك من روايات وهب بن منبه التي تتداخل فيها الحقيقة بالخيال وبالمبالغات.

قال أهل التاريخ ـ ولم يحدد الثعلبي مَنْ هم ـ: كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثاً وخمسين سنة ومدة ملكه منها أربعون سنة، وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه المدعو رحبعام وكان قد استخلفه. وقد ذكرنا جانباً من ذلك في صفحات سابقة.

وقد ورد الحديث عن عمره في كتاب البداية والنهاية الجزء الأول وفي كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وغيرهما من كتب التاريخ القديمة.

---

(1) الثعلبي النيسابوري، قصص الأنبياء عرائس المجالس ص 326 ـ 327 ـ 328.